بسم الله الرحمن الرحيم

علم الكلام: كتاب بداية المعرفة

خلاصة الدرس الحادي عشر

صفات الصانع

القسم الخامس

ImamSadiq.tv

صفة أخرى من الصفات الثبوتية الفعلية لله سبحانه وتعالى صفة العدل.

العدلُ معناه وضعُ كلِّ شيءٍ في موضعه، وعدم التجاوز عن حدّه. ويقابله الظُّلم والجور.

والله تعالى عادل، لما عرفت من أن العقل البشري إذا تُرك وإدراكه البديهي يحكم بقُبح الظلم، ولزوم تنزّه كلِّ موجودٍ عاقلٍ عنه، واستحقاق فاعله للذمّ، وحُسن العدل، ولزوم اتصاف كلّ عاقلٍ به، واستحقاق فاعله للمدح، فإذن يجب في منطق العقل اتصاف الخالق تعالى بالعدل.

العدل في القران الكريم:

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ... ﴿١٨﴾

سورة آل عمران.

أفعاله تعالى معللة بالغايات:

إنّ ممّا يســـتقل العقل البديهي بإدراكه، والحكم به، لزوم كون كلّ أفعاله تعالى معلَّلةً بالغايات والأغراض؛ لأنه لولا ذلك يكون في أفعاله عابثاً، والعَبَثُ نَقصٌ يَحكُمُ العقلُ بقبحه ولزوم تَنَزُّهِ كلّ عاقلٍ عنه، فكيف بالخالق تعالى، الكاملِ بالكمالِ المُطلَق.

إن الفعل الخالي عن أي غرض وغاية، لا يصـدر إلا من الفاعل الفاقد للشـعور والإدراك، فكيف ينسـب إلى الله جل وعلا فعل أو أفعال تخلو من الأهداف والغايات، وهو الموجود الكامل بالكمال المطلق، وخالق العقل والعقلاء.

اختيار الإنسان:

إن الإنســـان مختار في جميع أفعاله، وهو المذهب الحق الذي تؤيده الأدلة العقلية والنقلية، وليس المراد من اختياره اسـتقلاله التام عن القدرة والمشـيئة الإلهية، **بل هو مختار في عين وقوع فعله في دائرة المشـيئة والقدرة الإلهية -كما سـيأتي بيانه- وهذا هو المعروف بمذهب الأمر بين الأمرين، وإليه ذهبت الإمامية،** وامتازت به عن المعتزلة والأشـاعرة، اللتين اختارت كلٌّ منهما طريقةً خاصـةً في تفسـير علاقة أفعال الإنسـان بالقدرة والمشيئة الإلهية.

مذهب الإمامية: الأمر بين الأمرين، أي: أن الإنســـان مختار في فعله اختياراً لا يخرجه عن حيطة الإرادة والقدرة الإلهية.

إن الآيات القرآنية تنفي الجبر والتفويض، وتدل على مذهب الأمر بين الأمرين كلّ من أمعن وتدبر فيها.

توضيح ذلك:

إن الآيات القرآنية الراجعة إلى المقام على مجموعات ثلاث:

١. **آيات تصرّح بأن كلَّ ما يحدث في الكون ويصدر من العباد يقع بإذنه تعالى ومشيئته**، وهي عديدة، منها:

قوله تعالى: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ سورة التكوير.

وقوله تعالى: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴿١٠٠﴾ سورة يونس.

وهذه الآيات تُبطل التفويض.

٢. **آيات تفيد أن الإنسان مختار في أفعاله، وهي عديدة**، منها:

قوله تعالى: وَنَفْسٍ وَمَا سَـــوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ سورة الشمس.

وقوله تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ سورة فصلت.

فلو لم يكن الإنسـان مختاراً في أفعاله، صـالحةً كانت أم طالحةً، وفي انتخاب طريقه في الحياة، إيماناً كان أو كفراً، لما صحت نسبتها إليه، وهذه الآيات تبطل الجبر.

٣. **آيات تُصَرّح بأن لكلّ فعلٍ يصدر من العبد نسبتين**، إحداهما إليه، والأخرى إلى الله تعالى، من دون تزاحم وتضاد، منها:

قوله تعالى: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ سورة الأنفال.

فترى أنه سـبحانه نسـب الرمي إلى النبي صـلى الله عليه وآله، وفي الوقت نفسـه سـلبه عنه ونسـبه إلى ذاته.

وقد عرفت فيما تقدّم -عند بيان اختيار الإنسان في ظل الإرادة والقدرة الإلهية- كيفية الجمع بين النسبتين.

الأمر بين الأمرين في الأحاديث الشريفة:

روى الصدوق عَن الإمَام أَبِي الحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه قَالَ:

سَأَلْتُهُ فَقُلْتُ له: اَللَّهُ فَوَّضَ الأَمْرَ إِلَى العِبَادِ؟

فَقَالَ الإِمَام عَلَيْهِ السَّلَام: الله أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ.

فَقُلْتُ أَجْبَرَهُمْ عَلَى اَلْمَعَاصِي؟

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: اللَّهُ أَعْدَلُ وَأَحْكَمُ مِنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ الإِمَام عَلَيْهِ السَّلَام: قَالَ اَللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَابْنَ آدَمَ، أَنَا أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي، عَمِلْتَ المَعَاصِيَ بِقُوَّتِيَ الَّتِي جَعَلْتُهَا فِيكَ.

المصدر: كتاب التوحيد، للشيخ الصدوق، ص ٣٦٢، حديث رقم ١٠، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي.

قَالَ اَلْإِمَام اَلصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: لاَ جَبْرَ وَلاَ تَفْوِيضَ بَلْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ.
المصدر: كتاب التوحيد، للشيخ الصدوق، ص ٣٦١.

ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv

لمشاهدة الدروس يمكنكم مراجعة الموقع الالكتروني:

حوزة الإمام الصادق عليه السلام الافتراضيةلتعليم الدروس الحوزوية (imamsadiq.tv)

ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv
ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv ImamSadiq.tv